اساليب التعليم العقيمه ودورها في
اخماد روح الابداع لدى الطفل

الدكتور
نوري جعفر
الاستاذ في كلية التربية - جامعة بغداد

اســــاليب التعليم العقيمــة ودورها في اخماد روح الابــــــداع
لــدى الطفـــــل

****

من دواعي الغبطة والاعتزاز ان تتاح لي فرصة المساهمة بالندوة العلميــة التي يقيمها مكتب شؤون الطلائع ، وانه ليسرني كثيرا" أن اشيد بالجهود التــي يبذلها مكتب شؤون الطلائع في هذا الباب ، فالاطفال ـ كما تعلمون ـ هــم زينة الحياة الدنيا ، والمنزل الذى يفتقر للاطفال تبدو عليه امارات الكئابــــة والبؤس • وكذا الحال في المنزل الذى يتعرض اطفاله للمرض او التشـــــويه او الضعف الجسمي والعقلي ، والاسرة ـ بصورة عامة والام على وجه التخصيــــص ـ تغمرها السعادة عندما يولد الطفل سويا "يتمتع بالصحة وتكامل الجســـم والعقل والعواطف •• كل ذلك لان الطفل يرتبط أوثق الارتباط بمطامــــح اســرته وامانيها في المستقبل الافضل ، وما ينطبق على الاسرة في هذا الشـــأن ينطبق على المجتمع بأسره لان اطفال اليوم هم اعضاء مجتمع الغد •

ترتبط قدرات الطفل الابداعية بالخيال عنده ارتباطا" وثيقا" ••••••••
والخيال هو في جوهره الجانب غير الواقعي في حياة الانسان العقلية وان كانــت عناصره او مقوماته مستمدة في الاصل من البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيـــش فيها الانسان •• وهذا يعني ان الخيال يعبر عن نفسه في التأليف او الجمــــع (غير المألوف ، او الغريب) بين اشياء ماديــه محسوسة قد تكون متباعدة عـــن بعضها في الزمان والمكان لغرض اظهارها بأشكال او هيئات (غير مألوفة ايضا") •

والخيال يعبر عن نفسه بأوضح اشكاله في المجال الفني وفي الادب ، لا سـيما الشــعر •• وفي الشعر العربي بالذات وبخاصة القديم منه أمثلة رائعة من هـــذا القبيــل • وللخيال درجات صاعدة متفاوتة البعد عن الواقع المحسوس ، وكلما كـــان الخيال (السليم بالطبع) أكثر بعدا" من الواقع كان ارقى •• وهو الذى يظهر لـدى فطاحــل العلماء وكبار الفنانيين والشـــعراء •

ـ يتبــع رجـــاءا" ـ

لتربية الخيال عند الطفل من سن مبكرة اهمية خاصة •• وهنا تبدو مكانة القصص الخرافية التي يقرأها الكبار للاطفال (او يروونها لهم) شريطة ان تكون القصص ذات محتوى او مغزى اخلاقي ووطني وغير مخيفة وسهلة الاسلوب واضحة المعنى ، كما تظهر ايضا" اهمية اصغاء الكبار للقصص الخيالية الملفقة التي يرويها الاطفال للكبار ويتحدثون بها احيانا" عن انفسهم •

وعلى الكبار ان يبتعدوا عن اتهام الاطفال بالكذب في مثل هذه الحالات الخيالية لان تلك القصص ليست كاذبة (بالمعنى الاخلاقي) بل هي غير واقعية او من نسج الخيال •

وتعبر ابداعية الطفل منذ سن مبكرة ايضا" عن نفسها باستخدامه الاشياء والادوات المنزلية المألوفة بأشكال غير مألوفة لتحقيق اغراض جديدة غير مألوفة ايضا" (لدى الكبار) • هذا يعني ان الاطفال ينظرون الى الاشياء المادية المألوفة وعلاقتها ووظائفها في ضوء طريقة جديدة (غريبة بنظر الكبار) وقد تكون تافهة ايضا" بنظر الكبار ، وهذا واضح ايضا" في العاب الاطفال ورسومهم واسئلتهم وفي تعليلاتهم ، فلا بد والحالة هذه من تشجيع مبادراتهم الفردية وتنميتها واثرائها وتطويرها •

اما تعليلات الاطفال للاحداث والعلاقات والظواهر الطبيعية والصلات بين الاسباب والنتائج (المضحكة احيانا" بنظر الكبار) فلا ينبغي من الناحية التربوية ان يحول الكبار دون تعبيرها عن نفسها اذا لم يكن هناك مانع اجتماعي او اخلاقي وجيه يستلزم تعديلها وفق مستوى نضج الطفل الاجتماعي والثقافي •• وعلى الكبار المحيطين بالطفل ان يبتعدوا دائما" عن التزمت الاجتماعي وان يراعوا مستوى نضج الطفل العقلي والثقافي وان يتذكروا دائما" انهم انفسهم سبق وان مروا بمرحلة نمو مشابهة •• والعامل السايكولوجي والثقافي الذي يكمن وراء تعليلات الاطفال الطريفة والغريبة هو الفجوة الكبيرة الموجودة بين معرفة الطفل لحقيقة الاشياء المحيطة به وبين معرفة الكبار وكون الاطفال

ـ يتبع رجاءا" ـ

مضطرين في كثير من الاحيان على ملء (تلك الفجوة الكبيرة الموجودة في معرفتهم) بأخيلة وتعليلات غريبة عن تعليلات الكبار • وهذا يعني ان خيال الطفل اداة فكريه فاعلة يستخدمها لملء الفجوة الموجودة بين معرفته الناقصة عن العالم المحيط به وبين معرفة الكبار •

هذا بالاضافة — بالطبع — الى ان خيال الطفل اداة للتسلية عنده وعامل من العوامل الاجتماعية المهمة التي تجلب انتباه الكبار نحوه فلابد اذن من ان يفتح الكبار جميع منافذ الخيال عند الطفل وتهيئه الظروف الاجتماعيه المتاحه لتحقيق ذلك على افضل وجه مع احاطة الطفل دائما" بالرعايه والتشجيع والتوجيه •

لقد اخذ بالتعاظم الدور التربوى الايجابي الفعال الذى تؤديه القصص وبخاصة الخيالية منها — بالشكر الذى مر بنا ذكره — في تنمية ابداعية الطفل وفي تربيته الخلقية والفنية والجمالية والوطنية وفي صقل مشاعره وتوسيع معرفته وزيادة ثروته اللغوية • وما يصدق على القصص — في هذا الشأن — يصدق ايضا" على اللعب عند الاطفال •

لقد ثبت في ضوء الدراسات التربوية الحديثة (النظرية والتجريبية) وفي ضوء الملاحظات العامة او الميدانية ان اللعب (عموما" ، حتى عند الكبار) وعند الاطفال بصورة خاصة ليس هو جوهرة منافيا" للجد او انه نشاط عابث او مهدور — كما كان يظن سابقا" دون وجه حق — كما ثبت ان الطفل يكون اكثر جدية وتركيزا" واهتماما" اثناء اللعب • وانه من غير المبالغ فيه ان يقال ان اللعب هو النشاط الجدى الوحيد الذى يمارسه الطفل في مجرى حياته اليومية المعتادة •• وانه اداة تعرفه على البيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية • كما ان اللعب هو المجال السايكولوجي الايجابي الوحيد الذى يتيح الفرصة الملائمة لنشوء قدرات الطفل الابتكارية •• ويعمل ايضا" على تكامل شخصيته اذا احسن توجيهه وتوافرت مستلزماته الاجتماعية • هذا بالاضافة الى كون اللعب اداة للتسلية وصقل المشاعر وتهذيب الذوق وغرس صفات المثابرة والثقة بالنفس

— يتبع على الصفحة "١٣" —

والتعاون مع الاخـــــــرين •

وما يصدق على اللعب والقصص والرسوم يصدق ايضا " على اسئلة الاطفال فلابد من تشجيعهم على ذلك (وبالاصغاء الى اسئلتهم وبتوجيه اســــئلة ملائمة لهم والتعاون معهم على ايجاد الاجابات الملائمة) •• مع مراعــــــاة مرحلة نموهم الثقافي غير المتبلور بعد وتعويدهم على التوصل الى اجابـــــات معقولة ومقبولة مع ايجــاد بدائل متعددة لحل القضايا التي يواجهونهـــــــا او التي يطرحها عليهم الكبار وان يرتبط ذلك كله بمستوى نضجهـــــــــــــم اللغــــــــــــوي •

لا شك عندي ان تنمية القدرات الابداعية لدى التلاميذ (في مجـــــال العلوم الطبيعية والرياضيات بصورة خاصـــــة) لا تنسجم هي واساليب التعليم الشائعة المبنية على التلقين والتكرار الممل الميكانيكي وعلى الحفظ الحســــي او الحرفي احيانا ") في جميع مراحل الدراسة تقريبا " وفي جميع مـــواد الدراسة • يضاف الى ذلك — ولا يقل اثرا " عنه — ان كثيرا " من المواد المدرسيـــــة التي يتعلمها التلميذ لا تتحول — لجمود ما : ولعقم اساليب تعليمها — الـــى جزء من كيانه الفكري وقصر مدادته الثقافيه كما يتحول الطعام الذي يتناولـــه الجسم الى ما يغذيه وينميه ويصبح بالتالي جزاء" لا يتجزاء منه • بـــــــل تبقى تلك المواد او المعلومات عائمه على سطح الدمـــاغ الذي لا يلبـــث ان يجترهــــــا ليقذفها الى الخارج في وقت الامتحـــان كما يقذف مــــوج البحر المواد الغريبه التي تطفو عليه • كما ان الحـــاح نظام التعليم السائد على ضرورة تفوق الطالب في جميع الدروس من الرسم الى الرياضيات هو بنظرنـــا ضرب من ضـــــروب التعجيز ولا مسوغ له من الناحيتين التربويه والسايكولوجيه والتلميذ الذي يحاول عبثا " فـــي بعض الاحيان ان يتفوق بجميع الــــدروس انما يفعل ذلك على حساب موضوع تفوقه الاصلي •

لقد ادى عقم مناهج الدراسه وسوء اساليب التدريس والاداره المدرسيـــــة المتزمتـــــه بكثير من المصـــح رجال الفكر في شتى الاختصاصات الـــــى الاخفاق في حياتهم التعليميه منذ مرحله الدراسه الابتدائيه احيـــــانا "

— يتبع رجاء " —

وقد راتهم بعضهم بابلاءة ويأتي في مقدمه اولئك من العلمــــــاء الافذان ومن كبار المخترعين :ــ كل من اديسن وروتنكن أيشتيــــــــــــــن وباستور وباسكال وجيمس واط ونيوتن وداروين وماركـوني وبونكاريـــــــــة ومن الادباء شلي واميل زولا وتولستوى وصموئيل جونسون وفكتـــور هوكـــــو وولو سكوت • ومن الفنانيـــــن روفائيل وميخائيل انجيلو وبيكاسو • ومن الساسه بسمارك وكارل ماركس وونستون تشرشـــــل وجون كندى وجمال عبد الناصــــر وقد حال ضعف درجات باستور في امتحان الدراسه الثانويه دون قبولـــــه في كليه المعلمين في باريس وحرم رســـــوب برنكاريـــه في درس الرســـم من الدخول في الكليــــــة المشار اليها • كما ان برنكاريه اخفـــــــق وهو في أوج شهرته العلميه في اجتيـــــاز اختبار بينية للذكــــــاء ورسب اميل زولا في تاريخ الادب الفرنسي الذى اصبح احد فوارســــــه بعد ذلك وقصر طه حسين في تاريخ الادب العربي الذى اصبـــــح عميـــــــده بعد ذلك •